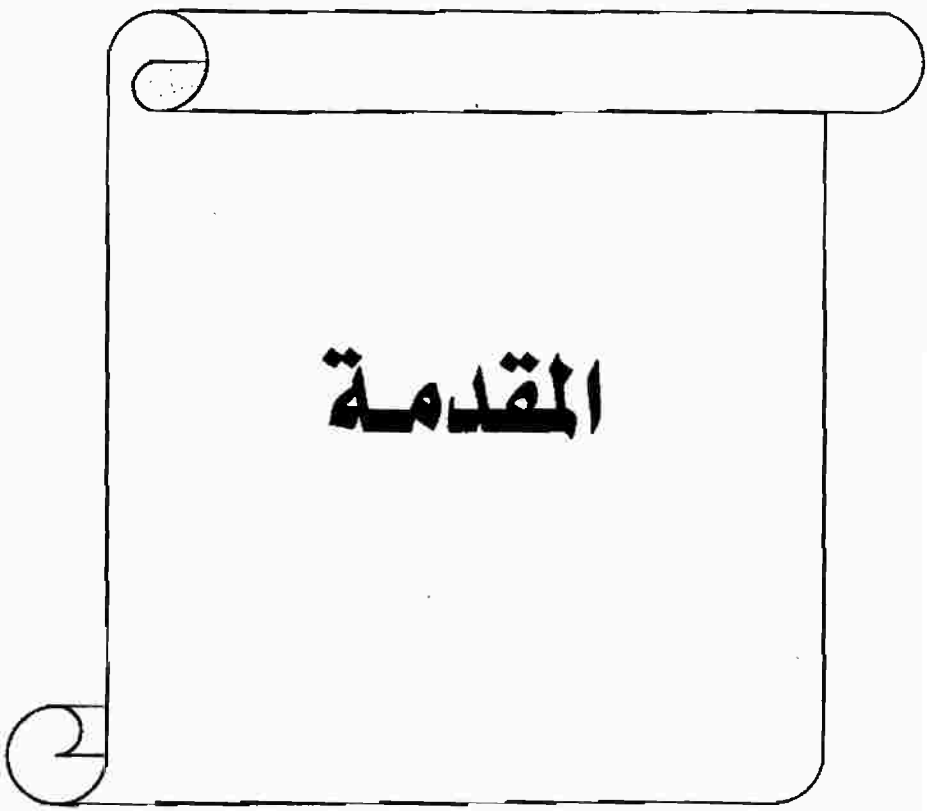
المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله الذي لا يحمد في الكون سواه، ونتوب إليه ونستغفره، أرسل الأنبياء دعاةً هادين، وبعث الرُّسل مبشرين ومنذرين، وجعلهم نوراً وضياءً للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

والصلاة والسلام على سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيّه وخليله، أرسله الله بالهُدى ودين الحق، بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

أنعم الله تعالى على البشرية جمعاء بهذا القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد جمع الله في القرآن ما يحتاج إليه الإنسان من العقائد والعبادات وقصص الماضين من الأنبياء والمرسلين التي هي عبرة وعظة لمن يخشى الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

فهذا كتابي بين أيديكم، تحدثت فيه عن (**صور من حياة الأنبياء**) الذين هم قدوتنا وأسوتنا، آمنَّا بهم جميعاً، وشهدنا لهم بالبلاغ، وأقررنا لهم بالفضل، جعلهم الله هداةً مهتدين وقدوة للعالمين، وأسوةً حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

ويكفي من فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أُمناء على رسالته، وخصَّهم بأنواع كرامته، فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً، ومنهم من سمّاه عبداً شكوراً، ومنهم من رفعه الله إليه حفظاً من كيد الكائدين، ومنهم من ألين له الحديد في يديه، ومنهم من سُخرت له الرياح، ومنهم من أحيا الموتىٰ بإذنه.

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠].

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به سائر المسلمين، وأن يحشرنا جميعاً في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

المملكة العربية السعودية — محمد بن أحمد بن يونس جاب الله

الرياض - في غرة رمضان ١٤٢٦هـ — غفر الله له ولوالديه

* * *

الأنبياء صفوة البشر

تعريف النبوة:

النبوة هبة وفضل من الله العلي القدير لمن شاء من خلقه، وهي الدعوة إلى الإيمان بالآخرة وإيثارها على الحياة الدنيا الفانية التي يطمع فيها كثير من الناس، والنبوة لا تكون بالوراثة، ولا تكون بطريقة الغلبة والاستعلاء، إنما هي اختيار، يختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل خلقه، وصفوة عباده، يختارهم لحمل الرسالة، ويصطفيهم من بين سائر البشر بهذا العمل الجليل كما بيّن لنا الله عز وجل في كتابه العزيز الحكيم، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٧].

والنبوة خاصة بالرجال، ولا تكون للنساء أبداً، والحكمة من ذلك أن النبوة عبء ثقيل، وتكليف شاق، لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، ولهذا كان جميع الرسل في محنة قاسية مع أقوامهم، وابتُلوا ابتلاءً شديداً في سبيل تبليغ دعوة الله.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣].

الفرق بين النبي والرسول:

النبي: هو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع، ولكنه لم يكلَّف بالتبليغ.

وأما الرسول: فهو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه.

والرسالة أعلى مرتبة من النبوة؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وعدد الأنبياء كبير جدًّا، إذ يزيد عددهم على مائة وعشرين ألفاً، وأما الرسل فهم قلة تزيد عن ثلاثمائة بقليل، والذين ذكروا في القرآن الكريم يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وهم خمسة وعشرون وكلهم من الرسل وهم:

(آدم، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، إدريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، إلياس، إليسع، ذو الكفل، عيسى، محمد» صلوات الله عليهم أجمعين.

أما بقية الأنبياء فيجب الإيمان بهم جملة، بمعنى أن نؤمن بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عنهم بقوله: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وسأل أبوذر الغفاري رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟

قال رسول الله ﷺ: آدم.

قال: يا رسول الله، ونبيٌّ كان؟

قال ﷺ: نعم، نبيٌّ مُكَلَّم.

قال: يا رسول الله، كَمْ المُرْسَلُونَ؟

قال ﷺ: ثلاثمائة وبضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيراً.

قال أبوذر الغفاري: كم وفاء عدة الأنبياء؟

قال ﷺ: مائة ألف وعشرون ألفاً[١].

التفاضل بين الأنبياء:

فضَّل الله سبحانه وتعالى بعض الأنبياء عن بعض، فليسوا جميعاً بدرجة واحدة من الفضل والمكانة، فقد جعلهم سبحانه وتعالى درجات، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومِن الرسل الكرام مَن سماهم الله عز وجل (أولي العزم) وهم قادة الأنبياء وسادتهم، وأمر رسول الله ﷺ أن يقتدي بهم في جهادهم وصبرهم، فقال عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وإنمَّا سُمّوا بأولي العزم لأن عزائمهم كانت قوية، وابتلاءهم كان شديداً، وجهادهم كان شاقًّا.

فمنهم مَن صبر على البلاء والتكذيب القرون الطويلة، والمِحَن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١٧٨).

والشدائد مثل نوح عليه السلام الذي بُعِثَ في قومه قريباً من ألف عام، ولم يؤمن معه إلا قليل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

ومنهم من وصلت به الشدة والكرب، ونال من قومه الشدائد والأهوال، إلى درجة أنهم رموه في النار مثل إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن، ولكن الله عز وجل نجَّاه فأمر النار أن تكون برداً وسلاماً عليه.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩ ـ ٧٠].

وهكذا بقية أولي العزم كموسى وعيسى، ثم خاتم المرسلين وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كلهم أوذوا من أقوامهم، فتحملوا الأذى والعذاب وصبروا على البلاء والشدة.

قال تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

مهمة الرسل عليهم السلام:

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لدعوة الخلق إلى عبادة الخالق الواحد القهار، وتبليغ أوامر الله عز وجل ونواهيه إلى البشر وليكونوا منارات للهدى، وأعلاماً للفضيلة، ولينشروا النور والضياء في أرجاء البلاد.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد جعل الله عز وجل علامة الرسول تبليغ الرسالة، وخاطب خاتم الأنبياء محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* * *